الفصل الرابع

طرائف ولطائف من دنيا العيون تسرى عن المحزون

لكل جارحة شكر

* قال «أبو هارون» : دخلت على «أبى حازم» فقلت له : – رحمك الله – ماشكر العينين؟

قال: إذا رأيتَ بهما خيرا أذعته.

وإذا رأيتَ بهما شرّا سترتَه.

أنت عين

* قال رجل لآخر:

إنما أنت عين.

قال : لك ، لا عليك،

هما عيناه وأنا يمينه

* قال قوم من الخوارج لمحمد بن الحنفية:(١)

لم غرر بك أبوك فى الحروب ، ولم يغرر بالحسن والحسين؟!

فقال : لأنهما عيناه ، وأنا يمينه ، فهو يدفع بيمينه عن عينيه؟

فضل العين

يقول ابن حزم:

* ولو لم يكن من «فضلِ العين» إلا أن جوهرها أرفع الجواهر وأعلاها مكانا لأنها نوريّة ، لا تدرك الألوان بسواها ، ولاشىء ، أبعد مرمى ، ولا أنأى غاية منها ، لأنها تدرك بها أجرام الكواكب التى فى الأفلاك البعيدة ، وترى بها السماء على شدة ارتفاعها وبعدها!

الفرق بين العين وغيرها من الحواس

وليس هذا لشىء من الحواس مثل : الذوق واللمس لا يُدْرِكان إلا بالمجاورة.

(١) كان محمد بن الحنفية أخا للحسن والحسين من أبيهما على رضى الله عنهم .

والسمع والشمّ لايُدرِكان إلا من قريب!

ودليل على ما ذكرناه من النظر . أنك ترى المصَوَّت قبل سماع الصوت ، وإن تعمدت إدراكهما معا.

وإن كان إدراكها واحداً لما تقدمت العين السمع[1]

أراه بعين البصيرة

* لكبير شعراء الألمان جوته اهتمام بالشرق والإسلام فى بحوثه ، وفى أدبه القصصى ، وفى أدبه المسرحى ، وفى أناشيده وأشعار دواوينه ، وتحت عنوان: «**مناجاة محمد**»[2] وهو فتى ، وقد خلا بنفسه بالليل بعيدا فى البادية تحت سماء صافية ، سافرة النجوم.

وبعد «**المناجاة**» يدير حوارا بين محمد ﷺ ومرضعته حليمة على الوجه الآتى:

حليمة : تظل وحدك هكذا طول الليل بعيدا فى هذه البادية التى يعيش فيها الذُّؤبان وقُطّاع الطرق ؟!

محمد : لست وحدى ، إن الله ربى يؤنس وحدتى.

حليمة : أرأيته ؟

محمد : ألا ترينه عند كل «عين جارية» ؟! ، وتحت كل شجرة مُزْهرة ، أراه «بعين البصيرة» مقبلا علىّ، وأحسُّ حرارة عطفه وحبه!

ما أعظم عرفانى لفضله ، وتسبيحى بحمده!

لقد فُتح صدرى ، وانتُزِعَ عنه الشّغاف ، حتى أُحسّ قربَه فى الصميم من قلبى!

---

(١) لمزيد من الإلمام بنظرية ابن حزم فى الرؤية يرجع إلى كتابه : «**الفِصَل فى الملل والأهواء والنِّحَل**» .

(٢) ﷺ .

مم تبكين؟

* لما أهديت ابنة «عبد الله بن جعفر» إلى «الحجاج» نظر إليها فى تلك الليلة ، وعبرتها تجول فى خدها!

فقال : مم تبكين بأبى أنت؟!

قالت : من شرف اتّضع ، ومن ضَعَةٍ شَرُفَتْ!

ذلك أدعى لبكائى

* من الجوابات المسكتة ماروى عن الخنساء حين دخلت على عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – فأنشدتها فى أخيها صخر:

ألا يا صـــخـــرُ إن أبكيتَ عـــينى

فـــقـــد أضـــحكتنى زمنا طويلا!

إذا قـــبحُ البكاء على قـــتـــيل

رأيت بكاءك الحـــسن الجـــمـــيـــلا

فقالت عائشة رضى الله عنها:

أتبكين صخرا وهو جمرة فى النار؟

فقالت الخنساء ودموعها تسيل:

يا أُمَّ المؤمنين ، ذلك أشد لجزعى ، وأدعى لبكائى ، وأبعث عليه!!

الأعرج والأعور

* كان «تيمور لنك» «أعرج» ، فلما انتصر فى معركة: «**أنسير**» على سلطان الأتراك «الأعور» وأسره مثل بين يديه ، فلما شاهده استولت عليه نوبة ضحك شديدة ، فوبخه السلطان على استخفافه وإهانته!

فأجابه تيمور : إنن لا أهزأُ بلقائك ، ولكننى لم أتمالك نفسى من الضحك عندما فكرت : كيف يمسك زمامَ الممالك رجل أعرج مثلى ، ورجل أعور مثلك!

زرقاء اليمامة

* جاء فى الأمثال العربية: أبْصَرُ من زرقاء اليمامة»

ويقول الميدانى فى كتابه ؛ «**مَجمع الأمثال**»:

واليمامة اسمها ، وبها سُمىَ البَلد.

وذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لقمان بن عاد ، وأن اسمها «عنز».

وكانت هى زرقاء.

وكانت الزرقاءُ زرقاءَ.

وكانت البسوس زرقاء.

قالِ محمد بن حبيب : هى امرأة من جديس – يعنى زرقاء ، كانت تُبصر الشىء مسيرة ثلاثة أيام.

فلما قتَلت جديس طَسمًا خرج رجل من طَسم إلى حسان بن تُبّع فاستجاشه[1]، ورغّبه فى الغنائم ، فجهز إليهم جيشا ثلاث ليالٍ . صعدت الزرقاء ، فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ، ليُلبسوا عليها ؛ فقالت:

ياقوم قد أتتكم الشجر ، أوأتتكم حمير ، فلم يصد قوها ، فقالت:

أُقسِمُ بالله لقد دَبّ الشجر

أوحِمْيرُ قد أخذت شيئا يُجَرّ

* فلم يصدقوها ، فقالت:

إنى أرى شجراً من خلفها بشرُ

فكيف تجتمعُ الأشجارُ والبشر؟!

ثُوروا بأجمعكم فى وجه أولهم

فإن ذلك منكم – فاعلموا – ظَفَرُ

---

(١) استجاشه : طلب منه جيشا .

* فلم يصدقوها ، ولم يستعدوا ، حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، وأخذ الزرقاء ، فشق عينيهافإذا فيها عروق سود من الإثمد[1] .

وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب.

* وهى التى قال فيها النابغة الذبيانى:

واحكُمْ كحكمِ فتاة الحَيّ إذ نظَرَت

إلى حِمامِ سِراع وارد الثَّمَدِ[2]

ترى ماذا كان حكمها من بعيد؟

وكم كان عددُ الحمام الذى رأته؟

كيف تعمل العين؟

* إن نظرة إلى «**العين البشرية**» تدلنا على ذلك الشبه الكبير بينها وبين آلة التصوير «**الكاميرا**» وتجيب عن ذلك السؤال الذى يتبارد إلى الأذهان:

كيف تعمل العين؟

إن صور الأشياء تنعكس على عدسة زجاجية فى آلة التصوير على لوح حساس فى مؤخرة صندوق ، وللعين أيضا عدستها التى تعمل بنفس الطريقة... ولو أنها ليست مصنوعة من زجاج ، فهى تعكس صورة الأشياء التى تشاهدها على ستار حساس.

وعند ذلك ترسل أطراف العصب التلغرافى رسائل لوصف الصورة إلى المخ.

ويمكن بهذه الرسائل أن يفهم حقيقة الشىء بالضبط ويتم ذلك بدون عناء إذا كان البصر طبيعيا.

أما إذا اعتراه طول أو قصر فلابد من التعديل بالنظارة ذات العدسات المساعدة المناسبة.

---

(١) هو «الأنتيمون» عنصر معدل بلّورى الشكل ، قصديرى اللون ، صلب هش ، يكتحل به .

(٢) الثمد : الماء القليل .

ماذا يحدث لأعيننا

عندما تنتقل من الظلام إلى النور الساطع فجأة؟

* إذا أغمضت عينيك بإحكام مدة دقيقة أو أكثر ، ثم فتحتهما فى حجرة شديدة الضوء ، ونظرت فى مرآة ، فإنك تلاحظ أن «**إنسان عينيك**» [النِّنّ] يأخذ فى الضيق كلما واجهت الضوء الساطع!

فما تفسير ذلك؟

إن إنسان العين ليس إلا مجرد ثَقْبٍ يحمى جهاز العين لتنفذ منه أشعة الضوء لتكون الصور على الشبكة خلف العين.

ومما يدعو إلى العجب أن هذا الثقب يُغَيِّر حجمة تبعا لمقضيات الحال ؛ فإذا كان ما يحيط به ضئيل الضوء فإنه يتسع ليسمح بوصول أكبر كمية ممكنة من الضوء والعكس صحيح.

عينك ....عندما تنام

* كلنا يلمس بنفسه ما تقوم به العين للإنسان عند يقظته ، أما ما تقوم به فى أثناء النوم فقد يخفى على البعض منا!

ومن المشاهد المعتادة أنه عقب النوم وحين يستيقظ الإنسان يجد على جانبى عينيه ، وبجوار عَظْمة الأنف كمية من الإفرازات والفضلات قد خرجت من العين ، وتجمعت وتراكمت فى ذلك الركن وتسمى «بالعماص» فى اللغة الدارجة ، أما فى لغة العرب فهو «الرَّمَص» و«الغَمَص» حين يسيل من العين وتزيد كميته كثيرا عندما تصاب العين بمرض ينتج عنه التهابات تموت فيها خلايا مدافعة ومقاومة ...فتخرج هذه البقايا كذلك.

وهذه الفضلات التى تخرج كل صباح إنما هى عبارة عن الأتربة والغبار التى دخلت إلى العين طول اليوم فالجو المحيط بنا فيه ذرات من أتربة عالقة ، وأوساخ متناثرة ....الكثير منها يدخل جسم الإنسان من فتحاته الطبيعية.

(١) الرمص : وسخ أبيض جامد يجتمع فى موق العين ، والغمص : ما سال من العين من رمص .

فتدخل من الأنف ، ولكن الجسم يخرجها بالمخاط! وتدخل من الفم ، فإذا وصلت إلى القصبة الهوائية أخرجها الجسم بالسعال ، وإلا فباللعاب!

أو تدخل إلى المعدة لتمتزج مع فضلات الغذاء وهكذا نجد أن الجسم يقوم بعملية تنظيف كل ما يتسلل إليه من أتربة وملوثات!

أما العين فإنها إذا ما تسربت إليها ذرة من غبارفإنها تبادر بدموعها الغزيرة بإخراجها إلى أن تزول آثارها أما التنظيف العام للعين فإنه يتم ليلا حين ينام الإنسان ، وتنام معه كل حواسه حيث تنتظر العين حتى ينام صاحبها ، ثم تبدأ فى عمل وحركة ؛ فسبحان الله الصانع العظيم.

بأى عينيك شهدت الهلال؟

* أتى رجل أعور فى زمن عمر – رضى الله عنه – فشهد أنه رأى الهلال ، فقال عمر:

بأى عينيك رأيت؟

قال: بشرِّهما ، وهى الباقية ؛ لأن الأخرى ذهبت مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته!

فأجاز شهادته!

نظرة سامية إلى الأصغر والأكبر

قيل لأحدهم : كيف تنظر إلى الناس؟

قال : إذا رأيت من هو أكبر منى قلت :

سبقنى إلى الإسلام والعمل الصالح ، فهو خير منى !

وإذا رأيت من هو أصغر منى قلت:

سبقته إلى الذنوب ، والعمل السيىء ، فأنا شرٌّمنه؟

رد مُخجل!

* مرت امرأة من العرب على مَجلس من مجالس بنى نُمير ، فقال رجل منهم:

أيتها الرسحاء [1] ، فقالت المرأة:

يابنى نُمير ؛ والله ما أطعتم اللهَ ، ولا أطعتم الشاعر!

قال الله عز وجل:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٣٠]

وشاعرنا العربى جرير يقول:

فَـغُضّ الطَّرْفَ ، إنك من نُمَـيْـر

فـلا كـعـبًـا بلغت ولا كـلابا

فكأنما ألقمته حجرا!!

إذا عرف السبب بطل العجب

* كانت التجارب قاسية عندما أبيح «التعليم المختلط» وحار أولياء الأمور فيما يدور على الساحة ، ولكن إذا عرف السبب بطل العجب!

فهذا لون من الشباب يذهب إلى حجرات الدراسة لا ليرتشف من ينبوع العلم الطاهر ، ولكن لينهل من ذلك الجمال الباهر ! ، ومادرى أن النظرة الأولى له ، والثانية عليه! وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ... إنه يسترق النظرات ....يخشى الناس ... والله أحق أن يخشاه! ويعبر الأستاذ «على جليل الوردى» عما يدور على الساحة من بعض أولئك الذين سول لهم الشيطان وأملى لهم ، فيقول:

حَـسْب المحِبّ وحَـسْـبُـهنّهْ

أن المحِبّ زمِـيـلَـهُـنّـهْ

(١) الرسحاء : الخفيفة العَجُز ، التى لا مؤخرة لها .

يا بؤسَ سَـــاحَـــات الدِّرا ســـــة إن خَلَتْ من نورهنّهْ
كم جئتُهـــا لا للدرا ســـة ، بل لأنعمَ قُـــرْبَهُنّهْ
وأُجـــيلَ طَرْفي راتعًـــا مـــا بين زهرِ خـــدودهنّهْ
ولَكَمْ تحـــاشـــيتُ الرقـــيـ ـبَ ، وخـشـيـةُ الرُّقـبـاء سَنّهْ
فـجـعلتُ وجـهي للكتـا بِ ، وناظري لوجُـــوهِهِنّهْ
فـــيـــهـــزُّهنه دلالُهُنّ إلى جـفـاء مُـحـبِّـهِنّهْ

فهل من وقفه مع النفس للحيلولة دون ما يدور على الساحة فى معاهد التعليم قبل الجامعى وبعده؟!

وإلى متى سكوتنا على هذا الوضع بعدما كان مِنْ آثاره السيئة؟!

ألا تقدح عينيك؟!

* قيل لسعيد بن المسيِّب ، وقد كُفَّ بَصَرُهُ:

ألا تقدح[1] عينك؟!

قال:حتى أفتحها على من ؟!

أشد ما مر عليه فى ذهاب بصره

* قال المتوكل لأبى العيناء:

ما أشدُّ ما مر عليك فى ذهاب بصرك؟

قال: فوتُ رؤيتكِ ياأميرَ المؤمنين مع إجماع الكافة على جمالك!

ليت عينيه سواء

كان هناك خياط أعور اسمه «عمرو» خاط لأحد الشعراء قباء لم يَحْظَ برضاه، وعندما سأله الخياطُ عن رأيه فى القباء قال :

(١) قدح عينه : أخرج منها الماء الفاسد [أمالى المرتضى : ٢٧٦] .

خـاط لى عـمـرو قـبـاء ليت عـيـنيـه سـواء
قلت شـعـراً لَيْس يُدرى : أمـديحٌ أم هِجـاء؟!

عوضنى العَمَى!

* كان الشاعر بشار بن برد جالسا مع «أحد الخلفاء» وكان فى المجلس «أحد الثقلاء» الذين يحلو لهم أن يصفوا شعر بشار بالتفاهة والركاكة ، فقال له يوما : ما سلب الله من مؤمنٍ كريمتيه (عينيه) إلا عوضه الله عنهما : إما الذكاء ، أو حسن الصوت ، فما الذى عوضك عن عينيك؟

فقال بشار : عوضنى العَمَى حتى لا أنظر إلى بغيض ثقيل مثلك!

إنما يبكى على الحب النساء!

* كان فى مجلس أمير المؤمنين : «عبد الملك بن مروان» رجل من خصوم الدولة الأموية ، فقال الرجل لعبد الملك: «**والله إن قلبى لايحبك أبداً!!**».

فقال له عبد الملك:

«إنما يبكى على الحب النساء ، فليكن ما بينى وبينك العدل والإنصاف!»

ما أظنها إلا مظلومة!

* قال الشعبى : حضرت مجلس شريح القاضى ، فجاءته امرأة تخاصم زوجها باكية!

فقلت : ما أظنها إلا مظلومة!

فقال : إن إخوة يوسف – عليه السلام – جاءوا أباهم عشاء يبكون ، وهم له ظالمون!

زمزم العين المباركة

يقول ابن القيم فى مائها:

«سيد المياه ، وأشرفها ، وأجلُّها قدرا ، وأحبها إلى النفوس ، وأغلاها ثمنا ، وأنفسها عند الناس» ولا شك فى أنه خير ماءٍ على وجه الأرض ! إنها بئر أبينا إسماعيل التى اندثرت من بعده ، وقام عبد المطلب جد النبى ﷺ بتجديد حفرها بعد أن أهلك الله الفيل ، وجعل كيد أصحابه فى تضليل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل]

وفى الحديث الحسن الذى أخرجه الإمام أحمد:

«ماءُ زمزمَ لما شُرب له»

وَلا عجب ، فهو سيد المياه ، وأشرفها ، وأجلها قدرا ، وأحبها إلى النفوس ويقول الإمام النووى معلقا على هذا الحديث:

معناه : أن من شربه لحاجة نالها ، وقد جربه العلماء والصالحون لحاجات أخروية ودنيوية فنالوها بحمد الله تعالى وفضله.

ويقول الإمام السيوطى : لما حججتُ شربت من ماء زمزم لأمور منها:

أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى.

وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

وذلك لإيمانه بصدق قول رسول الله ﷺ : **«ماء زمزم لما شرب له»**.

فهل تحقق للشيخ ما أراد ؟ نعم لقد من الله عليه بما أراد وفوق ما أراد!

طبيب عيون

كثيرا ما يقترن الطب والأدب فى التاريخ القديم والحديث ؛ فنرى أطباء أدباء كناجى ، ومصطفى محمود.

وقد كان «طبيب العيون» فى العصور الماضية يسمى: «الكحال».

ويذكر تاريخ القرن السابع الهجرى أنه كان فى القاهرة «كحال» يتخذ مقرًا له فى «**باب الفتوح**» ، وكان شاعرا كاتبا خفيف الروح ، يعمد فى شعره إلى التنكيت المستظرف..... إنه شمس الدين «ابن دانيال».

وذات يوم سأله سائل لايعرفه :

«ماحرفتك؟ وبأى شىء تتكسب؟». فأجاب طبيب العيون بقوله:

يا سائلِى عن حرفتى فى الوَرَى

واضَيْعَتِى فيهم وإفلاسى!

ما حالُ مَن درهمُ إنفاقُه

يأخذُه من أعْيُن الناس!

الكحل فى العين

قديما نجح الكحالون فى تجميل العين ، وإن لم يوفقوا فى معرفة الكيفية التى تعمل بها!

وفى مصر الفرعونية كانت تنتشر أمراض الرمد المختلفة منذ عهد الفراعنة إلى وقت قريب جدا.

فلا عجب من ظهور الكحل والكحالين أطباء العيون!

فقد اكتشف الكهنة الفراعنة ما يسمى بالكحل ليوضع على العين المريضة فيشفيها ، وقد صنعوا من الكحل أنواعا كثيرة:

فهذا نوع للعلاج ، وآخر لإبعاد المرض أو الوقاية منه ، وثالث لزيادة حدة الإبصار . ورابع لمنع الحسد لأنهم كانوا يخافون من العين التى لايصمد أمامها شىء!

وكانت «العين الكبرى» فى رأيهم هى الشمس ، فبلغ من خوفهم منها

(١) الوَرَى : الخلق .

أنهم عبدوها ، وقدموا لها الصلوات والقرابين حتى لاتشتد عليهم فتجفف ضرعهم ، وزرعهم ، وماءهم.

وقد وجدت علب كحل فرعونية مختلفة الأنواع:

فعلبة مكتوب عليها : للوضع على الأهداب والجفون.

وعلبة كتب عليها : أن كحلها مفيد لتقوية البصر.

وأخرى : كحلها مسيل للدموع.

ورابعة : لفتح العينين.

وخامسة: لنظافة العينين.

هذه العلب وجدت فى المقابر الفرعونية حتى يجد الميت حاجاته حين يستيقظ ويقوم برحلته إلى الدار الآخرة . كما كانوا يعتقدون!!

وفى القرن العشرين قبل الميلاد اخترعت المكاحل ذات المراود بشكلها المعروف حتى اليوم.

والمُكْحُلَة : علبة صغيرة فيها الكحل ، وتشبه زجاجة صغيرة فوهتها ضيقة ، وغطاؤها «المِرْود» الذى يشبه عودا من الكبريت يرفع به الكحل من المكحلة ، وتخطط به العين.

وفى عهد كيلوباتر سنة ٥١ ق . م . تميزت كيلو باترا على نساء زمانهابكحلها ! ، فقد كانت لها طريقتها الخاصة التى انتشرت ولازالت تتبعها الكثير من النساء حتى أيامنا هذه! لقد كانت تصبغ جفنها الأسفل بالأخضر المائل إلى الزرقة كما كانت تكحل أهدابها وحواجبها باللون الأسود.

وتمد خطا على حافتى عينيها لتظهرا كبيرتين براقتين ! وهكذا تميزت المرأة المصرية منذ القدم بتكحيل عينيها وانتقلت عملية صناعة الكحل من مصر إلى الرومان!

ولكنهم صنعوه من ملح خاص يسمى : «الأنتيمون».

ثم أصبح يصنع من هباب القرطم المحروق ، أو غيره من المواد التى يصدر عن حرقها دخان كثيف أسود.

ويجمع الهباب أو السناج ، ويستخدم كمسحوق ، وتصنع منه أقلام رصاص تكحل بها الجفون!

اختلاج العين!

يزعم العرب رجالهم ونساؤهم – على السواء – أن العين إذا اختلجت ...فلينتظر من وراء اختلاجها قرب لقاء الغائب الحبيب ، قال قائلهم:

إذا اختلجت عيني تيقّنت أنني

أراك ، وإن كان المزار بعيدا

كثرة البكاء تُطيل العمر!

أثبتت آخر الأبحاث التى قام بها الخبراء الأمريكيون على مجموعة من الرجال والسيدات – أن المرأة أطول عمرا من الرجل ، وذلك بسبب كثرة بكائها!

فالبكاء يعتبر فى نظر هؤلاء الخبراء تنفيسا عن الانفعالات المكبوتة ، فهو يحمى الشخص من الإصابة بأمراض عديدة فى مقدمتها :

مرض القولون ، وقرحة المعدة.

ويرى الخبراء أن هناك ارتباطا وثيقا بين الصراخ والبكاء والصحة الجيدة!

العين حق

قال ﷺ: «**العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استُغْسِلْتم فاغسلوا**» [رواه مسلم فى صحيحه].

يراد بالعين هنا : إلحاق الأذى البالغ ، والضر الشديد بإنسان . أو حيوان ، أو نبات ، أو جماد.

وهذا المعنى من معانى العين هو ما يندرج تحته الحسد، ويتصل به ويجرى فى سبيله.

فالصلة بينه وبين الحسد أن كل عائن حاسد ، وليس كل حاسد عائنا ، فإن الحاسد يلحق الأذى بالمحسود من عدة طرق ، وعلى أنحاء شتى ، بخلاف العائن فإنه يلحق الأذى بالمعيون عن طريق العين فحسب!

دموع كاذبة!

* هبت عاصفة ترابية على أحد الصيادين ، وهو يصوب «بندقيته» إلى طائر مغرد فوق شجرة!

ودخل التراب عينيه ، فسالت دموعهما ، وعاقته عن إصابة الهدف ، فأخذ يمسح دموعه!

ومر به طفل مع أبيه ، فرآه على تلك الحال ، فقال لأبيه : ياله من صياد مسكين! إنه يبكى يا أبت!

فقال أبوه : لاتنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى السلاح الذى فى يديه!

لغز فى العين

* فى كتابه «مجمع البحرين» ألف الشيخ نصيف اليازجى «مقامة»[1] ضمنها لغزا عن «العين» ، وفيها يقول عن «بطل المقامة».

فأراد تنبيه الأعين الساهرة ، وأنشد يقول:

أَيُّهَا الراكبُ المُيَمِّمُ مِصْـــرا[2] ألْق سمعًا فللْحَديث فُنُـونُ

دُونَ مِصْرٍ عينٌ ، وعينٌ ، وعينٌ قام فيها نونٌ ، ونونٌ ، ونُونُ

قال : فطارت السِّنَةُ[3] من الجفون، بين تلك «العين والنون» وقد يحدث القوم بما يكون ، ومالا يكون ، حتى وردنا ماء النيل ، فقال الشيخ : هذه عين يشرب بها عباد الله ، ويسبح فيها النون!

فقال القوم قد فتح الشيخ لنا الباب ، فليتذكر أولو الألباب!

(١) المقامة : قصة قصيرة مسجوعة تشتمل على عظة أو مُلْحة ، كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم .

(٢) المُيَمِّم : القاصد . (٣) السِّنة : النعاس .

قلت : فما بقية النونات والعيون بعد أن فتح لنا الشيخ الباب ، وساعدنا على الجواب ؟

وأراك تتحفز للإجابة فتقول :

* العين الأولى : ماء.

* والثانية : رَصَد.

* والثالثة : رئيس.

* كما أن النون الأولى حوت.

* والثانية : سيف.

* والثالثة: دواة.

يعنى : أن بينهم وبين مصر «مياها» تقف فيها «الأسماك» و«لصوصا» تقوم بأيديهم «السيوف» ، و«ورؤساء» ذوى «محابر وأقلام» .

عين جالوت

* فى سنة (١٢٥٨ م – ٦٥٦هـ) زالت الخلافة العباسية على يد المغول حين أمر هولاكو بقتل «**الخليفة المستعصم**» وأصبح العراق الإسلامى تابعا للمغول!

وزحف هولاكو نحو الشام ، وأرسل إلى ملوك الأمويين بالشام يتوعدهم ، ويهددهم بالفناء التام إذا هم لم يمهدوا لزحفه بالإسراع إلى طاعته!

وانتشر الذّعر بالبلاد الشامية والمصرية كذلك بعد أن استولى هولاكو على حلب ثم دمشق ... وعندئذ أرسل إلى السلطان قطز ينذره ويحذره ، وأجاب قطز الخوارزمى الأصل إجابة لم تكن متوقعة ؛ حيث قتل سفراء المغول إليه! انتقاما لما أحدثه چنكيزخان بالدولة الخوارزمية!

وفى هذه اللحظات الحاسمة يضطر هولاكو إلى العودة إلى بلاده لوفاة أخيه الخاقان مانجوخان ، ولكى يشترك فى تولية «**الخاقان الجديد**» .

وتولى «**أبغا**» قيادة الجيوش المغولية المحتلة بلاد الشام لكى يواصل الزحف

إلى مصر لتأديب قطز.

غير أن قطز لم يهمل استعداداته الحربية ، بل أرسل طلائعه من القاهرة بقيادة «**بيبرس البندقدارى**» على أن يزحف هو بالجيش الرئيسى.

واستطاع «**بيبرس**» أن يصد طلائع مغولية قرب غزة مما يدل على أن الخطر المغولى أضحى قريبا جدا من مصر!

ولحق قطز بالطلائع المملوكية ، وراح يفاوض الصليبيين ليسمحوا له باختراق الأراضى الساحلية لكى يستطيع مباغتة المغول من حيث لايتوقعون!

ونجحت المفاوضات ، واستطاع قطز الوصول إلى مدينة «**بيسان**» فى سهولة وسرعة وهيأ الله له أن يهزم المغول فى «**عين جالوت**» على حين غِرة بقيادة أبغا سنة ١٢٦٠م وانتصر قطز انتصارا كبيرا على أبغا..

وكان انتصار المماليك على المغول فى «**عين جالوت**» واقعة فاصلة فى التاريخ كله بعد أن عجزت الدولة الخوارزميّة والدولة العباسية عن مواجهة المغول والوقوف فى وجههم ، وصد زحفهم ، وبعد أن انهارت القوى المسيحية أمام الزحف المغولى على أجزاء من روسيا وبولندا والمجر الحالية.

نعم لقد كانت وقعة «**عين جالوت**» أول صدمة فى الشرق لجيوش المغول وخاناتهم ، واستطاعت مصر أن تحمى العالم كله وأن يكون لها زعامة جديدة فى العالم الإسلامى!

إنسان العين!

* وما أدرك ما إنسان العين ؟ إنه المثال الذى يُرَى فى السواد ، وجمعه أناسِيّ ، قال الله تعالى :﴿ **لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا** (٤٩) ﴾ [**الفرقان** : ٤٩] .

وقد جاء فى الشعر :

أبا العَلاَ يابن سليمـــــانا ... إن العَمَى أَوْلاك إحسانـا

لو عاينَتْ عيناك هذا الورى ... لم ير إنسانُك إنســـانا

* وقال آخر:

لم نلق غـــيـــرك إنســـاناً نلوذُبه

فـــلا بَرِحْتَ لِعينِ الدهرِ إنســـانا

* ويقول غيره:

هى العـيـون فكن منهـا على حـذر

فـــرُبّ إنســـان عينٍ صـــارَ إنســـانا

لماذا كانت لنا عينان بدلا من عين واحدة؟

* إذا نظرت إلى منظر فإن عينيك تريان بخفة مناظر مختلفة تمتزج فى صورة واحدة.

وهذا المنظر المزدوج يجعلها ترى الأشياء من اتجاهات ثلاثة : الطول ، والاتساع ، والعمق بدلا من جهتين مثل آلة التصوير العادية!

فإذا نظرت إلى زجاجة وعينك اليمنى مقفلة ، فإنك ترى الجانب الأيسر أكثر وضوحا ، والعكس إذا نظرت إليها وعينك اليسرى مقفلة.

من مكن العمى من القراءة؟

* ساعد لويس بريل المولود فى فرنسا سنة ١٨٠٩ م العُمْى على قراءة الكتب والموسيقى ، فقد أصيب بالعمى فى الثالثة من عمره.

ولما كان محبا للبحث ، فقد ابتكر نظاما ساعد العمى على القراءة بأصابعهم؛ فإن الحروف والأرقام يرمز لها بمجموعة من الثقوب الصغيرة بارزة على ورق مقوى.

فيمكن بسهولة للعمى الذين لهم حاسة لمس قوية أن يمروا بأصابعهم بخفة على الثقوب فيقرءون ما تدل عليه الرموز.

ويمكن للعمى أن يقرءوا أيضا علامات الموسيقى على طريقة بريل ، ولذا مهر منهم كثيرون فى هذا الفن.

سبب رؤية البرق قبل سماع الرعد؟!

* نرى دائما وميض البرق ، ثم يلى ذلك ببضع ثوانٍ قصف الرعد ؛ والسبب فى تأخر سماعنا قصف الرعد : أن الضوء يسير بسرعة مدهشة تبلغ ١٨٦,٠٠٠ ميل فى الثانية ، أما سرعة الصوت فإنها أقل ؛ إذ تبلغ ١١٠٠ قدم فى الثانية ، ولذا تستغرق الموجات الصوتية مدة أطول حتى تصل إلى آذاننا.

عمى العينين

* الصبر – كما عرفه علماؤنا – حبس النفس على ما تكره ، وشأن المسلم أن يقبل القسمة المفروضة ، ثم يضيف إليها ما يهّون الصعاب ، ويبعث على الرضا!

ها هوذا حَبْر[1] الأمة الجليل عبد الله بن عباس عندما فقد عينيه ، وعرف أنه سيقضى ما بقى من عمره مكفوف البصر ، محبوسا وراءالظلمات عن رؤية الحياة والأحياء لم ينطو على نفسه ليندب حظه العاثر ...بل قبل القسمة المفروضة ثم أضاف إليها ما يهون المصاب ويبعث على الرضا فقال:

إن يأخذ الله من عَيْنَىّ نورَهما

ففى لسانى وسمعى منهما نور

قلبى ذكى ، وعقلى غير ذى دَخَل[2]

وفى فمى صارم كالسيف مأثورُ

* ويقول بشار بن بُرد فى الردّ على خصومه الذين نددوا بعماه:

وعيّرنى الأعداءُ والعيبُ فيهمو!

فليس بعارٍ أن يقال: ضرير

إذا أبصرَ المرءُ المروءة والتُّقَى

فإن عمى العينين ليس يَضيرُ

---

(١) الحبر : (بفتح الحاء أو بكسرها) : العالم . (٢) الدخَل : الفساد .

رأيت العَمى «أجرا» و«ذُخرا» ، و«عِصْمَةً»

وانى إلى تلك الثلاث فقير

ولاشك أن تلقى المتاعب والنوازل بهذا الروح المتفائل وهذه الطاقة على استئناف العيش، والتغلب على صعابه أفضل وأجدى من مشاعر الانكسار والانسحاب التى تجتاح بعض الناس ، أو تكاد تقضى عليهم.

* وما أبعد الفرق بين كلام ابن عباس ، وبشار ، وبين ما قاله صالح بن عبد القدوس لما عمى.

على الدنيا السلام فما لشيخ

ضرير العين فى الدنيا نصيب

يموتُ المرء ، وهْوَ يُعَدّ حَيّا

ويُخْلِفُ ظنّه الأملُ الكَذوبُ

يمنينى الطبيب شفاءَ عينى

وما غير الإله لها طبيب!

إذا ما مات بعضُك فَابْكِ بعضا

فإن البعض من بعض قريب

* ونحن نحس الرقة لهذا الفؤاد الجريح غير أنه خير لصاحبه أن ينهض ويسير، ويضاعف الإنتاج فى الحياة من مواهبه الأخرى كما فعل الرجلان قبله[1] .

عمى الألوان

* من الأسرار التى احتار العلماء فيها ...ما يسمى بالعمى اللونى ... أو عمى الألوان!

وفيه يتفاوت الناس فى رؤية الألوان ....تركيزا ... وحجما ومساحة.

(*) جدد حياتك للشيخ محمد الغزالى رحمة الله عليه .

فبعض الناس يستطيع تمييز لونين فقط ... وبعضهم يميز بين أربعة .. وهناك من لا يميزون أى لون!

إلا أن الشائع بين الناس عدم القدرة على التمييز بين اللونين : الأحمر والأخضر بدرجة مطلقة ، ونسبة كبيرة . وقد أسند العلماء هذه الظاهرة إلى انعدام مادة ما.... أو الإصابة بحساسية لدرجة مختلفة ، وذلك فى شبكة المخ .. أما .. ماهى هذه المادة ...فلا تعريف لها ... ولا معرفة بها.. وعلمها عند ربى الذى خلق فسوى!

عيون تكشف المجهول

(العيون الصناعية)

قد هيأ الله للكائنات الحية وللإنسان وسائل وأجهزة طبيعية غاية فى الإعجاز للاستشعار من البعد!

فحاسة البصر ، وحاسة السمع ، وحاسة الشم فى الإنسان كلها وسائل متنوعة للاستشعار من البعد ، ودراسة مواقف معينة من مسافات بعيدة باستخدام أجهزة طبيعية تتلقى الموجات الضوئية ، أو الموجات الصوتية ، أو بانتقال جزئيات وذرات من مواد كيميائية من مصدرها إلى هذه الأجهزة الطبيعية للاستشعار! غير أن لهذه الأجهزة الطبيعية للاستشعار من البعد فى الإنسان – قدرات معينة، وإمكانات محدودة ...فمثلا لاتستطيع «**عين الإنسان**» أن ترى الأشياء إلا عند وجود موجات ضوئية فى أطوال معينة تنعكس من هذه الأجسام أو إذا أصبحت هذه الأجسام ذاتها مشعة فى المجالات الضوئية التى تدخل فى نطاق قدرات حساسية العين البشرية.

وبالتالى لايمكن للإنسان أن يرى فى الظلام الكلام وكلمة «**الظلام الكامل**» هنا كلمة مجازية – فلا شىء يسمى بالظلام الكامل ، وإنما قد لا تتوفر الموجات الضوئية بالأطوال والذبذبات المحدودة التى تستطيع العين البشرية أن تحس بها ، ومع ذلك فهناك موجات ضوئية ، وهناك ضوء خارج هذا

النطاق المرئى لاتستطيع العين البشرية أن تشعربه – وكذلك الأذن – حاسة السمع عند الإنسان – لها قدرات محدودة على التقاط الموجات الصوتية فى نطاق أطوال موجات وذبذبات معينة ، ومازاد أو قصر عن ذلك لاتشعر به.

وبالنسبة لحاسة الشم ، أو تمييز ذرات من مواد كيمياوية معينة معلقة فى الهواء ، فإن الإنسان يستطيع أن يشعر بها حين تكون مركزة بتركيز معين.

وفى عصرنا الحديث – ومن خلال «**عيون**» متعددة قابلة للرؤية والاستكشاف خارج نطاق القدرة المحدودة لعيون البشرية – تقوم الأقمار الصناعيّة ، وطائرات الاستكشاف التى تحلق على ارتفاعات شاهقة بمراقبة كل بقعة على سطح الأرض ، وبصفة مستمرة ليلا ونهارا.

وتقوم هذه الأقمار الصناعية ، وطائرات الاستكشاف بما يتوفر فيها من «**عيون صناعية**» ذات قدرات خاصة سواء أكانت هذه العيون على هيئة أجهزة تصوير عادية أم كانت إلكترونية – بتسجيل ما تراه فى كل مكان على سطح الكرة الأرضية ، وترسل ببعض هذه المشاهدات فورا إلى مراكز التقاط أرضية بتجميع هذه المشاهد ، ووضعها فى صور مختلفة لدراستها ، واستخلاص كميات هائلة من المعلومات عنها . فسبحان الله الذى علم الإنسان مالم يعلم ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا بالعقل والعلم الذى أتاح له الاستشعار من البعد ، وجعل له عيونا تكشف المجهول.

البيت الذى لايرقأ دمعه

* جاء فى «المقامة العراقية» لبديع الزمان الهمذانى :

قال الفتى : أى بيت لا يَرْقأ دمعه[1] ؟

فأجاب : أما البيت الذى لايرقأ دمعه ؛ فقول ذى الرُّمة:

مـا بالُ عـينيك منهـا الماءُ ينسكبُ

كـأنه من كُلَى مَـفْـريةٍ سَـرِبُ

(١) لا يرقأ : لا يسكن ، ولا يجف ، ولا ينقطع بعد سريانه .

البيت الذى لامعنى له!

* وما البيت الذى يصفعك باطنه ، ويخدعك ظاهره؟

فأجابك:

هو كقول القائل:

عـاتبْـتُـهـا فـبكت وقـالت : يافَـتَى

نجـــاك ربُّ العـــرش من عَـــتْـــبى!

حيث يظن الناس أن فيه معنى ، ولا معنى له ؛ فإن التى تبكى من عَتبه لاقوة لها عليه فى عتبها ، فلا حاجة إلى الدعاء له بالنجاة منه!

على أن هذا القول فى أشد ما يكون من البرودة .

أين كان البصراء؟

* تزوج أعمى امرأة قبيحة ، فراحت تستغل عدم رؤيته ، وتسوق الدلال عليه قائلة:

احمد اللهَ ؛ لقد رزقتَ أحسنَ الناس دون أن تدرى!

فقال لها : يا (.....) ، فأين كان البصراء عنك؟!

عقاب العين

* قال بعضهم ، وكان دميما:

كنت ذات يوم واقفا عند الجسر أحدث صديقًا لى ، فوقفت امرأة بحذائى وقوقا طويلا ، وأدامت النظر إلىّ!

فقلت لغلامى : انظر ما تريد هذه المرأة!

فدنا منها ، وسألها ، فقالت:

كانت عينى قد أذنبت ذنبا ذات يوم ، فأحببت أن أعاقبها بالنظر إلى هذا الشيخ!

حديث العيون

* من طرائف التصحيف والتحريف الذى يقع كثيرا فى الكتب والصحف والمجلات ذلك البيت الذى نشرته صحيفة الأهرام القاهرية منذ أكثر من ستين عاما – من قصيدة غزلية للأستاذ «عوضى الوكيل» ، وقد أسقط منها جماع الحروف حرفا وكان أصل البيت هكذا:

وحـــديثُ العـــيـــون أبلغ تأثيـ

ـرا ، فـقـولى كـلامك العَـبْـقَـرِيا

لكن جَمّاعَ الحروف أسقط القاف من الكلمة الأخيرة ، وجعل ختام البيت: «**فقولى كلامك العبريا**» ، فظن القراء أن الخطاب موجه إلى فتاة يهودية تتحدث العبرية ! وكان ماكان!

كم من مبصر بالعين أعمى القلب مرتاع!

* فى حفل تأبين الدكتور طه حسين فى اكتوبر ١٩٧٤ يقول الشاعر : «محمد عبد الغنى حسن» تحت عنوان ؛ «مصرع الشمس» :

لقد ودعتُ فى تشرينَ شمسًا ذاتَ إشعاع
أطلت من ســـمـــاواتِ النُّهى تُزْهَى بإبداعِ
على نور البصيرة هل إلى الإبصار من داعى؟
وكم من مُبْصِرٍ بالعين أعمى القلب مُرْتاعِ!
ومـــاذا تنفع العـــينان قلبـــا ليس بالواعى؟

لماذا تدمع أعيننا من البصل؟

* تفرز غُدة صغيرة بالقرب من العين كمية عادية من الدمع ، فينظّف بها الجفن كرة العين من الفضلات.

* أما إذا أفرزت العين الدموع بسرعة ، فإن الدموع تظهر خارج العين حيث تنهمر.

* وفى البصل غاز له خاصية إثارة الأعصاب فى أعلى الأنف ، فيزداد إفراز غدد الدمع .

* وهذه الدموع مفيدة ، لأنها تمنع الغاز من إتلاف العين.

* أما أولئك الذين لاتدمع أعينهم ، فإن غدد الدمع عندهم ضعيفة!

الجديد فى عالم الرؤية

من كان يتصور أن العقول سوف تبتكر....

«نظارة تترجم الأشياء والمشاهد إلى أصوات لفاقدى البصر» ؟!

لقد ابتكر جراح العيون الأسبانى المعروف باراكير (٧٤سنة) لخدمة فاقدى البصر جهازا بسيطا لايتكلف سوى أربعة جنيهات!

وهو عبارة عن خلية كهربية ضوئية ، ووحدة ترانزستور تمد قطبين كهربيين مبللين بماء ملح لزيادة الاتصال بالجلد ، ثم يوضع القطبان تحت العين وراء الأذن وبمرور التيار الكهربى فى القرنية يثير منطقة الإبصار فى المخ.

بعد ذلك اكتشف العلماء فى لندن جهازا جديدا وهو عبارة عن نظارة لفاقدى البصر تعطيهم صورة صوتية عما يحيط بهم.

وهى تشبه النظارة العادية،ومزودة بثلاث دوائر فى وسط «الشنبر» أعلى الأنف تعمل كمحولات للطاقة تشع وتستقبل موجات أسرع من الصوت تجعل فاقدى البصر يحسون بما حولهم فى حدود مخروط يمتد أمامه بزاوية ٦٠ درجة.

وتتحول هذه الموجات التى هى أسرع من الصوت إلى أصوات مسموعة خلال صندوق التحكم الألكترونى المرافق له .

وتركب سماعات صغيرة فى الشنابر الجانبية ، وتوصل كل أذن بأنبوبة بلاستيك صغيرة. والسماعات مصنوعة بشكل يناسب الأذن ، ولا يمنع عنها الأصوات الأخرى المحيطة.

ويعتمد هذا الجهاز على حاسية فاقد البصر بحيث يعطى لكل شىء صوتا مميزا . وبهذا الاكتشاف يمكن لفاقد البصر أن يحس بكل شىء حوله فى منطقة حدودها ٢٠ قدما ، ويحيط علما بكل المعالم الرئيسية حوله.

الأعين النُّجل

* ماذا تفعل الأعين النجل ؟

تبرز القصة الآتية ما للعيون النُّجل من أثر فى حياة الأفراد والأمم ، فلقد روى أنه لما حاصر «العلوى» مدينة «دمشق» وأشرف على تملكها ، كان فيها امرأة مشهورة بالحسن ، فقالت لأهل المدنية : أنا أكفيكموه[1] !

فخرجت وطلبت الوصول إليه!

فلما حضرت بين يديه قالت : ألستَ القائل:

نحن قوم تُذيبنا الأعينُ النُّجـــ ـلُ على أننا نُذيبُ الحـــديدا[2]

طوعُ أيدى الغرام تقتادنا الغيـدُ ونقـــتاد فى الطعان الأســودا[3]

فترانا يوم الكريهـــــة أحـــــرا رًا ، وفى السلم للحسان عبيدا

فقال : بلى!

فألقت البرقع عن وجهها ، وقالت:

أحسنا ما ترى ، أم قبيحا؟!

قال: بَلى ...حسنا!

قالت : إن كنت عبدًا للحسان ، فاسمع وأطع ، وارتحل عنّا!

فنادى فى جيشه بالرحيل!

فنادى نقباءُ عسكره:

البلد بأيدينا ، وقد أشرفنا على فتحه !

فقال : لا سبيل إلى الإقامة عليه ساعة واحدة!

وخطب المرأة ، وتزوجها!

---

(١) أى أكفيكم إياه ، وأتولى أمره عنكم .

(٢) النُّجل : جمع نجلاء ، وهى واسعة العينين كالمها .

(٣) الغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الناعمة .

العين عليها حارس

* نظرا لما للعين من الأهمية فى حياة الإنسان وفرالله لها الحماية من أى أذى أو عدوان خارجى!

فقد أحاطها الله سبحانه وتعالى «**بصُندوق عظمى**» موجود فى مقدمة الجمجمة يسمى «**مَحْجِر العين**» وجمعه محاجر.

إن هذا الصندوق – وإن كان مفتوحا من الأمام – فإنه يحمى العين من الصدمات الجانبية.

وتتجلى قدرة الخالق – جل وعلا – فى أنه أحاط العين إلى جانب هذا بوسادة دهنية ماصّة للصدمات ؛ لكيلا تنحشر العين بين العظام والجسم الصلب الذى يحتمل أن يصطدم بها .

* ومع هذا فإنه لم يترك العين مكشوفة من الأمام بل غطاها من الأمام بالجفون.

وكما جعل سبحانه «مقلة العين» مغطاة من الأمام بالجفون فقد جعل مقلة العين تتصل بالجفون عن طريق غشاء مخاطى بها ، فتنفتح طاقة كهربية تنتقل عن طريق العصب البصرى إلى الجزء الخلفى من المخ حيث توجد المنطقة الخاصة بالبصر.

وعند وصولها إلى المخ تنبه خلايا المخ فتستقبلها ، وتقارنها بالمخزون الموجود بها من ذكريات وتفهمها.

ومن خلال الاتصال بين مركز البصر فى المخ ،ومراكز الحركة والانفعالات الأخرى تكون استجابتنا للمرئيات .

* فإن كان ماوقعت عليه العين صديقًا هشّ الوجه له وبَش وابتسم الفم ، وامتدت اليد للمصافحة ،وسعت القدم لاستقباله.

* وإذا كان ما وقعت عليه العين حبيباً أسرعت دقات القلب ، واحمر الوجه.

(١) بفتح الميم وكسر الجيم أو العكس : ما أحاط بالعين .

* وإذا كان ما وقعت عليه العين خطرا أسرعت دقات القلب وولى الإنسان هربا ، وامتدت يده بالدفاع!

* إن العين هى العضو الطرفى الحساس لحاسة البصر.

* ولقد خلقها الله بحكمة ودقة متناهية لنرى بها ماحولنا ولنتأمل بديع خلق الله ، ولننظر ماذا فى السموات والأرض:

تأمل بديع الكائنات فإنها

من الملأ الأعلى إليك رسائل

* ولابد أن يكون هناك ضوء حتى ترى العين....

إن هذا الضوء يقع على الأشياء ، فينعكس منها إلى العين ، حيث يتم تركيزه على هيئة صورة لما نرى تبدو معكوسة على شبكية العين.

* وعندما يصل هذا الضوء إلى الشبكية فإنه ينبه النهايات العصبية بها.

* ونظرا إلى أنها حساسة للضوء مما يحدث التفاعل الكيميائى الضوئى بما يسمى بالملتحمة ، وأتاح لهذه الجفون أن تتحرك بواسطة عضلات خاصة لتستريح العين من الضوء أو الأتربة أو الريح.

* ولا يخفى علينا أن نفس حركة الجفون تعمل على توزيع الدموع ، والإفرازات الأخرى على سطح العين ؛ وبهذا يتم غسل العين من أى جسم غريب يمكن أن يوجد على سطحها.

* كما أن نفس هذه الدموع تسهل حركة الجفون التى تغطى العين.

الجفون والرموش:

وكما زود الله – سبحانه وتعالى – العيون بالجفون ، فقد زود الجفون بالرموش[1] التى تعطى العين مظهرها الجميل ، إلى جانب تلك الحساسية الفائقة التى تتزود بها «الرموش» فلا يكاد يقترب منها مقترب إلاوتلتقى وتنطبق على العين لحمايتها مما قد ينالها!

---

(١) الهُدْبُ : شعر أشفار العين والجمع أهداب . ويقال : رمشت عينه : احمرت أجفانها ، وتفتلت أهدابها مع ماء يسيل .

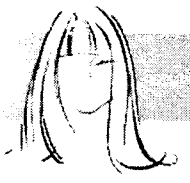

و«شعر الرموش» ليس كشعر الرأس بل له عمر ... ولذا يتساقط لينمو من جديد.

وتقوم الغدد الدمعية بإفراز الدموع طوال ساعات اليقظة لترطيب العين ، وسهولة حركة الجفون.

إن جزءا من هذه الدموع يتبخر لتنخفض درجة الحرارة على سطح العين ، كما يقوم جزء منها بترطيب سطح العين وحمايتها ، بغسل أى جسم غريب على سطح العين.

و يزيد إفراز الدموع فى حالات الفرح والحزن والضحك ..... وفى ذلك يقول الشاعر:

ياعين قـــد صـــارالبكا لك عـــادة

تبكين فى فـــــرح وفى أحـــــزان!

الحواجب :

وللحواجب وظيفة جمالية إلى جانب قيامها بحراسة العين ، فهى تقف سدا حائلا فى وجه عرق الجبهة ، وتحول دون وصوله إلى العين ، كما أنها تحجب جزءا من الأشعة المتساقطة من أعلى وفى ذلك صيانة للعين ، فسبحان الخلاق العظيم.

يا صيّاد احذر أن تصاد!

* نظر بعضهم إلى صياد يكلم امرأة وينظر إلى عينيها ، فهتف به:
ياصيادُ احذر أن تصاد!

من جوامع كلم لقمان

* رأى لقمان جارية خرجت يوم عيد ، وزجّجت الحواجب والعيونَ فقال:
إن هذه الجارية لم تخرج لتَرى ، ولكن لتُرَى!

كلكم يبكى فمن سرق المصحف؟!

* ذات يوم كان الحسن البصرى يَعظُ من التفوا حوله ، وإذا بهم يبكون من شدة التأثر ، وتسيل دموعهم.

وبحث عن مصحفه ، فلم يجده!

فنظر إليها ، وقال قولته المشهورة:

«كلكم يبكى فمن سرق المصحف!»

يا ساريةُ .... الجبلَ .... الجَبلَ

* روت كتب السيرة أن الخليفة عمرَ بنَ الخطاب - رضى الله عنه - كان يخطب يوم الجمعة فسمعوه يقول فى أثناء خطبته:

«يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ»[1] فهل لهذه القصة علاقة بما نحن فيه من **«الرؤية عن بُعد»** ، أو **«التلباثى»** كما يقال؟

نعود إلى **«الإصابة فى تمييز الصحابة»** لابن حجر العسقلانى فنراه يقول فى ترجمة : «سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر» (رقم ٣٠٣٦):

أنشد ابن أبى خيثمة لسارية قصيدة يقول فيها:

فما حَمَلت من ناقةٍ فوق رحلها

أبَرّ وأوْفى ذِمّة من محمد[2]

وسارية ولاه «عمر» ناحية فارس ، وله يقول : ياسارية ، الجبلَ .

* وذكر الواقدى : أنه كان يسبق الفرس عدْوًا على رجليه ثم أسلم وحسن إسلامه ، وأمّره عمر على جيش وسيّره إلى فارس سنة ثلاثة وعشرين.

فوقع فى خاطر عمر ، وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى

---

(١) سارية : منادى مبنى على الضم فى محل نصب لأنه علم مفرد . والجبل اسم منصوب على الإغراء بفعل محذوف تقديره الزم ، ولك أن تسميه مفعولا به أو مغرًى به . والجبل الثانى توكيد للأول . أو هو مفعول به لفعل محذوف تقديره : الزم .

(٢) وينسب لغيره .

العدو ، وهوفى بطن وادٍ ، وقد هموا بالهزيمة . وبالقرب منهم جبل.

فقال فى أثناء خطبته : ياساريةُ ، الجبلَ الجبلَ ، ورفع صوته ، فألقاه الله فى سمع سارية ، فانحاز الناس إلى الجبل ، وقاتلوا العدوّ من جانب واحد ففتح الله عليهم! ويقول ابن حجر معلقا على هذه القصة:

* قلت : هكذا أخرج القصة «الواقدى» عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه، عن عمر.

* وأخرجها سيف مطولة عن أبى عثمان ، وأبى عمرو بن العلاء عن رجل من بنى مازن فذكرها مطولة.

* وأخرجها البيهقى فى الدلائل واللالكائى فى شرح السنة ، والزين العاقولى فى فوائده.

ويقول المؤرخون : فلماء جاء البشير بعد شهر ذكر أنهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم ، قال ! فعدلنا إلى الجبل ، ففتح الله علينا.

ياليل ..... ياعين

* درجت الأذن على سماع «الموّال» مسبوقا بمناجاة الليل ... ومناجاة العين ؛ فهل لهذه الظاهرة من تعليل مقبول . ولم اقترنت مناجاة العين بمناجاة الليل ؟

ألأن المحبوب قد يتيح فى الليل لقاء فتشهده العين حقيقة ، أو يرى طيفه مناما ، وعندئذ يتاح للعين فى الليل ما حرمت منه فى النهار؟!

* ها هو ذا المتنبى يقول:

أزورُهم وسـوادُ الليلِ يشـفَعُ لى

وأنْثَنِى وبياضُ الصُّبْح يغْرى بى[1]

---

(١) يسوق البلاغيون هذا البيت دليلا على الطباق الجميل بين أزورهم وأنثنى ، وسواد الليل ، وبياض الصبح ، ويشفع لى ، ويغرى بى ! فبضدها تتميز الأشياء !

ولعل خفةَ الكلمتين على اللسان ، وامتداد الصوت بهما مما ساعد على سريانهما . وجريانهما على الألسنة فى الريف والحضر داخل الأكواخ والقصور!

ولاعجب ؛ فالليل أنيس ، وسمير ابن البلد الأصيل ، ومفرج كرب المكلوم والموجوع ، ومَفْزع المحروم والمظلوم ، ناجاه المحبون والحائرون والكادحون والبائسون.

والعين وسيلة الرؤية ، ومرآة القلوب ، ونور البصر والبصيرة ، والحاسة التى تساعد على الاستمتاع بالحواس الأربع الأخرى.

وهى التى ليس فى الوجود سواها ما يستحق أن يعشق أو يحب.

وهى التى تزيد من حمد الله على نعمه من محسوسات ، أو مرئيات تتوالى وتتنوع وتتلون وتظهر و تختفى وتسرع وتبطئ وتنمو وتذبل أمام ناظريه وهو جالس فى مكانه لايريم ورحم الله القائل:

هل السمع بعد العين يهدى كما تهدى؟

* والعين هى مصدر متاعب العشاق وهى بريد القلب فهى تجر القلب معها إلى المهالك كما تجر صاحبها إلى مشكلات الهوى ومتاهات الغرام ، وهى التى تجنى على القلب عندما تنظر فتحب فتهوى ، وفى ذلك يقول أمير الشعراء شوقى:

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاءُ

فلقاء يكون فيه شفاءٌ ... ولقاء يكون فيه الداءُ

ويقول:

يانا عسَ الطرفِ لاذُقْتَ الهوى أبدا

أسهرت مُضْنَاكَ فى حفظ الهوى فنَمِ

وهناك «أسطورة» تتضمن تحليلا لذلك النداء الذى تردده الألسنة ، ويشدو به الرائح والغادى ، والحاضر والبادى..

تروى هذه «الأسطورة» أن صياداً يُدْعى «ليل» كان لايفارق «شاطئ النيل» الذى هو مصدر رزقه وفيه معاشه اليومى ، وقد أحب النيل حبا ملك عليه قلبه وعقله!

وأمام هذا الحب الجارف لم يجد النيل إلا أن يكافئه على حبه وتفانيه ، فأهدى إليه «حورية» اسمها «عين».

وكان «ليل» آنذاك يُقيم مع والده ، وابنة عمه «خضرة» التى تكفَّل بتربيتها والده بعد وفاة أبويها ، وأعدها لتكون زوجه لابنة «ليل» عندما يبلغان مبلغ الزواج ، وربطت الألفة بين قلبيهما فراحا ينتظران اليوم الذى يجتمع شملهما فيه!

ولكن «خضرة» أحست بانصراف «ليل» عنها بعد ما كان بينهما من حب ومودة وإقبال ، فصارحت عمها بذلك ، وعلى الفور قرر «العم» أن يأخذ ولده و«خضرة» ويرحل بهما إلى «دمياط» مبررا هذا الارتحال الفورى باقتراب موسم الصيد عند مصب النهر ، حيث تكثر الأسماك ويتسع الرزق!

غير أن «عين» لم تستسلم بل راحت تغرى محبوبها «ليل» وتجذبه إليها .... إلى عالمها تحت الماء!

ووقع «ليل» فى حيرة من أمر أبيه وأمرها!

أيترك أباه الذى رباه يكافح وحده فى شيخوخته ؟! أم يلبى نداء القلب ، ويطيع هواه ، ويستجيب لذلك الإغراء الذى لاعهد له بمثله ؟!

وكيف يستجيب لذلك الإغراء وهو ساعد والده ، ومحط آماله ؟!

فراح يقاوم ويلبى نداء العقل ، فلم تجد «عين» أمامها إلا أن تعود أدراجها إلى البحر حزينة كاسفة البال تعانى ألم الهزيمة ، وذل الانكسار، ومرارة الخيْبة!

وعندئذ خلا الجو لبنت عمه «خضرة» ، ولم يعد لها منافس فى قلب ليل!

ودفعها الحنين إلى القاهرة أن تطلب من عمها الرحيل من دمياط إلى مسقط رأسها بعد انتهاء موسم الصيد فى دِمياط!

وصادفت هذه الدعوة هوى فى نفس عمها حيث يتاح له أن يحتفل بزفافهما.

وفى «القاهرة» أقيمت مراسم الفرح بعد أن خيل إلى «ليل» أنه سَلاَ «عين» ، وبعد أن رأى من «خضرة» مزيدا من الحنان والحب والرعاية والاهتمام.

وفى غمرة تلك الأفراح سمع «ليل» هاتفا يناديه : ياليلُ! ...ياليلُ...ياليلُ!

وإذا هو يفقد السيطرة على نفسه بعد أن تبين له أن ذلك النداء الحبيب هو صوت «عين»!

وإذا هو يجرى ...نحو البحر ملبيا ذاك النداء!

وإذا «عين» تمد إليه يديها الحانيتين وتشده إلى عالمها تحت الماء ، وتغوص به بين أحضان النهر الخالد ، وطيات أمواجه الضاحكة اللعوب!

ويبحث عنه المدعون إلى فرحه عندما افتقدوه ولم يجدوه دون جدوى!

ولما استبد بهم اليأس وقفوا على شاطئ النهر وراحوا ينادون فى لهفة وجزع:

يا«ليل» .....يا«عين»!

يا«ليل» .....يا«عين»!

وأصبحت «ياليل ياعين» أنشودة فى سمع الزمان على التاريخ يرددها الرائح والغادى ، والقاصى والدانى....

عين السَّمَكة

نتوء جلدى ، نتيجة الاحتكاك ، أو الضغط المستمر ويمتد داخليا فى الأنسجة تحت الجلد ، ويسبب الألم نتيجة ضغطه على نهايات الأعصاب الحساسة.

وتكثر عين السمكة فى القدم عند مقدمه ، نتيجة الأحذية الضيقة.

وتعالج بحمض الساليسليك ، وقد تحتاج إلى إزالتها بالكى الكهربى ، أو الجراحة.

كتاب العين

أول معجم عربى ، ألفه الخليل بن أحمد ليحصر المستعمل والمهمل من الألفاظ التى يمكن تأليفها من الحروف العربية.

رتب الحروف فيه على وفق مخارجها ومواقعها من الجهاز الصوتى بادئا بحرف العين ، وبه سماه.

والمخارج عنده سبعة عشر مخرجا موزعة على : الجوف . والحلق ، وأول الفم ، ومناطق اللسان ، وحافته ، وطرفه ، والثنايا ، والشفة السفلى ، والشفتين ، ونظم الكلام تبعا لحروفها الأصلية

عين الماء

عين ، أو نبع : انسياب الماء من الشقوق الأرضية بصفة دائمة أو متقطعة.

والعيون أو الينابيع الدائمة الدفق تستمد ماءها من الأعماق ، وقد يكون ماؤها لذلك دافئا ، أو حارّا.

وقد تذوب فيه أملاح معدنية.

وبعد .... فقد قال الشعراء ماقالوا فى العين .... ولا يخفى عليك أنهم فى كل وادٍ يهيمون ... وأنهم يقولون مالا يفعلون ... فتعال نقف وقفة مع النفس.... مع الدين لنعرف مالنا وما علينا ... لنعرف الداء والدواء بعد أن عم البلاء ، واستشرى الداء ، وفزع الذين يبغون النجاة إلى تعاليم رب الأرض والسماء!